الأثر التاريخي والاجتماعي لبيعتي العقبة الأولى والثانية (٦٢٠م-١٢هـ من النبوة / ٦٢٢م-١٣هـ من النبوة)

د. بخيته حمد أحمد الجزولي[١]

المستخلص

تكمن أهمية هذه الدراسة في إيضاح دور الأثر التاريخي والاجتماعي لبيعتي العقبة الأولى والثانية، وهدف البحث إلى الترغيب في الدعوة إلى الله (سبحانه وتعالى) والتمكين لها، والتحلي بصفات الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أجل الدعوة، الدعوة إلى الشعور بالمسئولية تجاه الإسلام، واتبعت فيه اتبعت المنهج التحليلي والوصفي والتاريخي، وتوصلت من خلال البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، من أهمها، بجهود الرسول (صلى الله عليه وسلم) من أجل نصرة الإسلام ودين الله سبحانه وتعالى تمت الهجرة التي أدت لتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة. أن توكل على الله وعلمه بأن الله سبحانه وتعالى يفصل بالحق بين الإيمان والباطل واستعصامه بإيمانه وثقته بالله ساعده على أن يصد الطواغيت الذين يجبرون الداعية أن يكف عن دعوته، ومن النتائج، على قادة الدعوة الإسلامية أن يتأسوا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في مسيرتهم الدعوية في كل زمان ومكان. على المسلم أن يحمي قائد الدعوة الإسلامية ويشد من أزره كما كان يفعل زيد بن الحارثة. على الداعي أن يكثر من الثقة بالله ويتحلى بالصبر لأن طريق الدعوة إلى الله محفوف بالمخاطر منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) وأن يكون الداعي على يقين من نصر الله له.

المقدمـــة

إن الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه ونصلي ونسلم على سيدنا محمد (ﷺ) بن عبدالله النبي الأمي الصادق الأمين.

١- استاذ مساعد- جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم- كلية التربية- قسم التاريخ.

كما هو معلوم أن الرسول (ﷺ) نجح في الصمود من أجل الحق مستحصناً بتوجيه القرآن الكريم وقدراته الذاتية ولقد جاء إسهام الرسول (ﷺ) في القضايا الكبرى التي شهدتها مكة المكرمة آنذاك وكان إسهاماً متنوعاً وشاملاً متخطياً شتى مساحات العمل البشري الجماعي وكأنه أريد له أن يجرب كل شيء وأن يسهم عاملاً في كل اتجاه، وأن يبني عبر نشاطاته المتنوعة جميعاً شخصيه قادره على التصدي لكل المشاكل والإسهام الإيجابي الفعال في كل ما من شأنه أن يعيد حقاً أو يقيم عدلاً فكانت هذه المشاركة قد اكسبته خبرة طيبة في مجال التعامل مع الأحداث قام الرسول(ﷺ) بعقد المؤاخاة بين المسلمين.

فقد كان للرسول (ﷺ) العديد من الأساليب من أجل نشر الدعوة الإسلامية فقد كان (ﷺ) صاحب حكمة وحذاقة أرسى بها قواعد مجتمع جديد، ولكن كانت هذه الظاهرة أثراً للمعاني التي كان يتمتع بها (ﷺ) ، فقد شهد (ﷺ) مثل هذه البيعات والأحلاف قبل الرسالة، والتي من بينها حلف الفضول فقد كان (ﷺ) يشارك قومه في همهم وأعمالهم الخيرة وهو لم يزل شاباً. وقد جاء هذا الحلف على أثر حرب الفجار وكان بين القبائل الآتية :

بنو هاشم ثم بنو عبد المطلب وأسد بن عبد العزى، وزهرة بن كلاب، وغيرهم، فقد اجتمع هؤلاء في دار عبد الله بن جدعان فتبايعوا وتعاهدوا على نصرة كل مظلوم في مكة من أهلها أو غيرهم وقال (ﷺ) بعد أن أكرمه الله بالرسالة: (ولقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف ما أحبُ أنّ لي بهِ حُمر النعم ولو دُعيت له في الإسلام لأجبت)[1] وهذا الحلفُ روحه تنافى الحمية الجاهلية التي كانت تثيرها العصبية.

ولقد تميز الرسول (ﷺ) بالقدرة التفاوضية قبل البعثة النبوية عندما حكِّم (ﷺ) في أصعب قضية في التاريخ واجهت قريش وكادت تفنى القبائل في شرف وضع الحجر الأسود ، وكما مارس (ﷺ) العمل السياسي والدبلوماسي منذ

١- أبو محمد عبد الله بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، مصر ١٣٧٥ه/١٩٥٥م،ص:١١٣-١٣٥-- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم ،الطبعة الثانية،قطر٢٠٠٩م :ص:٥٣.

شبابه وتعلم كثيراً من أسرار التفاوض وعليه أصبح (ﷺ) مؤهل تأهيلا كاملا بما مارسه من قبل البعثة النبوية. وكان (ﷺ) ثابت في كل المفاوضات التي خاضها تلك في المفاوضات التي اكسبته تجارب قيمة كان لها دورها الفعال في مسيرة حياته في عصر نبوته.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الآتي:

١. عدم تحلي الكثير من الدعاة بالصبر أثناء مسيرتهم الدعوية.

٢. عدم اليقين بأن الله تعالى ينصر من ينصره وأن رحمة الله واسعة.

٣. مثل هذه البيعات مفقودة في عالمنا الإسلامي.

٤. عدم تتبع كثير من الدعاة خطى النبي (ﷺ) في أسلوبهم.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

أولاً: الترغيب في الدعوة إلى الله (سبحانه وتعالى) والتمكين لها.

ثانياً: التحلي بصفات الرسول (ﷺ) من أجل الدعوة.

ثالثاً: الدعوة إلى الشعور بالمسئولية تجاه الإسلام.

رابعاً: اتباع القدوة الحسنة متمثلة في رسولنا الكريم (ﷺ).

خامساً: حققت البيعتان معنى الوحدة والتناصر في الحتق امتثالا لقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٣).

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على الأثر الاجتماعي والتاريخي لبيعتي العقبة الأولى والثانية في مكة٦٢٠م إلى موسم الحج سنة١٢ هـ من النبوة-٦٢٢م لسنة ١٣ه من النبوة.

الدراسات السابقة:

حسب علم الباحثة وتقصيها أنه لم يتطرق أحد لموضوع هذا البحث من ناحية مستقلة، ولكن تم استعراضها وتحليلها من قبل كثير من المؤرخين المحدثين..

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج التحليلي والوصفي والتاريخي.

هيكل البحث:

يتكون البحث من سبعة مباحث على النحو التالي:

المبحث الأول: الإطار العام للبحث– مقدمة، مشكلة البحث، أهداف البحث، حدود البحث، الدراسات السابقة، منهج البحث

المبحث الثاني: مفهوم البيعة في التاريخ والإسلام.

المبحث الثالث: بيعة العقبة الأولى:

أ) تاريخها. ب) مكانتها.

ج) بنودها د) الحاضرون من الرجال والنساء.

هـ) تعليق على ما تضمنته هذه البيعة من دروس وعبر.

المبحث الرابع: بيعة العقبة الثانية:

أ) بنودها ب) الحاضرون.

ج) تعليق على ما تضمنته هذه البيعة من دروس وعبر.

المبحث الخامس: دور المرأة المسلمة في بيعتي العقبة الأولى والثانية.

المبحث السادس: الأثر الاجتماعي والتاريخي لبيعتي العقبة الأولى والثانية.

المبحث السابع: الخاتمة – النتائج – التوصيات – المصادر والمراجع.

المبحث الثاني

مفهوم البيعة في التاريخ والإسلام

أولاً: معنى البيعة في الاصطلاح:

هي اقتراح أهل الحل والعقد رجلاً يتولى أمر الأمة لجلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار عنها، وقمع الفتن وإقامة الحدود وتحقيق العدل بينهم ورد الظالم[١].

والحضارة الإسلامية تفردت عن مثيلاتها من الحضارات الإنسانية، فمما أبدعته هذه الحضارة وقدمته سائقاً ميسوراً للمسلمين وغير المسلمين نظام البيعة واللافت للنظر في هذا أن الحضارات السابقة لم تعرف نظام البيعة على الإطلاق، فإذا كانت البيعة تعني المبايعة والطاعة، فإنها من جانب آخر تعني إشراك الرعية في المنظومة السياسية الحاكمة ولو بقدر ضئيل[٢].

وعليه أصبحت البيعة في التاريخ الإسلامي من أهم مميزات النظام السياسي والإسلامي[٣].

مفهوم البيعة في الإسلام:

البيعة في الإسلام بيعة عهد على الطاعة من الرعية للراعي، وإنفاذ مهمات للراعي على أكمل وجه أهمها سياسة الدين والدنيا على مقتضى شرع الله ،وأن البيعة في الإسلام لم تفرق بين الرجل والمرأة، أو بين الصغير والكبير وهذا حس تربوي للرعية حيث يعلم الإسلام المسلمين ضرورة المشاركة فيما بينهم على الارتقاء بمجتمعهم وأمتهم[٤].

ولقد كانت البيعة منذ فجر التاريخ في الحضارة الإسلامية حيث بايع النبي (ﷺ) الصحابة وجميع المسلمين، وكان عدد الذين بايعوه (ﷺ) عدداً لا يمكن حصره وقد احصى الإمام الجوزي عدد من بايع الرسول (ﷺ) من النساء بلغن

١- الدروي، محمد محمود، الرسائل الفنية في العصر العباسي،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،ط١، ١٩٩٩م،ص٣٠-٣١.
٢- ابن منظور محمد بن مكرم الانصاري، لسان العرب، بيروت،ص:٢٩٨.
٣- منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، دار الوفاء١٤٢٩ه/٢٠٠٨م،ص:١٣٣.
٤- مرجع سابق نفسه ،ص:١٣٥.

سبع وأربعين امرأة ولم يصافح (ﷺ) ببيعة امرأة وكن يبايعن بالكلام، وكان (ﷺ) يبايع الأطفال حيث بايع عبد الله بن الزبير وهو ابن سبع سنوات[١].

أهمية البيعة في الإسلام:

ومن هنا ندرك أن الحضارة الإسلامية حضارة بناء، فهي صنعت قيمة الفرد والجماعات وأكدت على ضرورة مشاركتهم في الأحداث المحيطة بهم، ومن قدوة الرسول (ﷺ) يرسى مبدأ البيعة من اليوم الأول لقيام الدولة الإسلامية ولأهمية أمر الدعوة في المنظور الإسلامي الحضاري ووجدنا القرآن الكريم يشير إليه في أكثر من موضع، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ (الفتح: ١٠). فالبيعة التزام إيماني خالص وقوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ هو نوع من التأكيد عن حقيقة البيعة والعهد للنبي (ﷺ)[٢].

إن اجتماع النبي (ﷺ) في العقبة مع المبايعين يمثل فريضة دينية يؤسسها عهد البيعة على الالتزام بتكاليف الدين والسير فيها نحو المقصد المرتجى، كما أشار النبي (ﷺ) إلى بيعة النساء الأولى على أهمية دورهن الفاعل في بناء الحضارة الإسلامية قال تعالى: ﴿فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢).

وإن تاريخ البيعة في العهد النبوي، يؤكد أن الصحابة بايعوا الرسول (ﷺ) رجالاً ونساءً بيعات مختلفة غير مكررة، كبيعة العقبة الأولى والثانية، وبيعة الرضوان، ثم بيعات الأفراد والجماعات والقبائل المتيقنة بالإسلام بل كانت هذه البيعات مرة واحدة في العمر. وجلَّ مراسم هذه البيعات كانت بالمصافحة يداً بيد وبقول: (أشهد ألا إله إلا الله وإنك رسول الله ونبايعك على السمع والطاعة؛ وكذلك تأسى المسلمون برسول الله (ﷺ) وأصبحت البيعة ركناً لا فكاك منه في المنظومة الإسلامية)[٣].

١- أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزية، تلقيح فهوم أهل الأثر ، الهند، دار الكتب ، ص:١٢٢.
٢- أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزية، تلقيح فهوم أهل الأثر مرجع سابق، ص:١٢٣.
٣- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء للطباعة والنشر،ط١٤٢٢،٤هـ/٢٠٠١ ، ص:١٥٣.

المبحث الثالث

بيعة العقبة الأولى وقيمها الجديدة
(٦٢٠م إلى موسم الحج سنة ١٢هـ من النبوة)

إن العديد من آيات القرآن الكريم تؤكد حقيقة تاريخية قائمة في كل زمان ومكان وتقول ما من داعية إلى فكرة حديثة أو دعوة جديدة يترتب عليها تحولاً اجتماعياً جديداً إلا وتعرّض أصحابها إلى شتى أنواع المقاومة والاستنكار والإيذاء قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٩). ثم لم تلبث عروض القرآن الكريم التاريخية أن تذكر الأسباب التي دعت الكفار والمشركين إلى معارضة الدعوة الإسلامية الجديدة التي استخدمت كافة الوسائل والأساليب في مواجهتها. ملخصة أسباب تلك المواجهات فيما يلي:

أولاً: الخوف على مصالحهم وامتيازاتهم التي يتمتعون بها في ظل الوضع القائم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ (سبأ: ٣٤).

ثانياً: أيضاً حالة الشعور بالاستعلاء والاستكبار على الآخرين قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٣).

ثالثاً: التمسك بالقيم الجاهلية والاعتزاز بنظمها وأعرافها وتقاليدها وفي ذلك قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾ (المائدة: ١٠٤).

ولكن الثبات على حمل مبادئ الحق يؤدي إلى النصر والغلبة قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ (آل عمران: ١٨٤)، وهذه الآية تثبت قلب الرسول (ﷺ) فتحدثه عن التجارب السابقة، وتربطه بقانونها فتوضح له أن هنالك سنة جرت عليه، وتجري على الأنبياء الذين مارسوا هذه التجربة الرساليه قبله، وإن النصر سوف يأتيه ولكن للنصر شروطه الموضوعية كالصبر

والثبات وقوة الإيمان وغيره، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (آل عمران: ٢٠٠).

إن أصحاب الدعوات الحقة الذين يريدون أن يغيروا حركة التاريخ إلى الأحسن لم يكن بمقدورهم تحقيق الغلبة والنصر على العقبات والأعداء إلا بذلك، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمَوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِرِ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة: ١٥٥).

وقد اتخذ الرسول (ﷺ) أساليب متعددة من أجل نشر الإسلام وتمكين الدعوة الإسلامية من هذه الأساليب التي كان الرسول (ﷺ) يتبعها: يعرض نفسه على القبائل والأفراد ومارس (ﷺ) دبلوماسيته النبوية بين أهل الطائف حوالي عشرة أيام، وتوغل في المجتمع ولكن دون جدوى وقالوا له أخرج من بلادنا وأغروا به سفاءهم ولما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وصاروا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه ورجموا عراقيبه (ﷺ) حتى اختضبت نعلاه بالدماء وكان في حمايته زيد بن حارثة حتى أصيب في رأسه واجتمع الناس عليه (ﷺ) ولجأ لحائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأتى (ﷺ) إلى حبلة من عنب فجلس تحت ظلها ودعا بالدعاء الآتي: (اللَّهم إليك أشكو ضَعَف قَوْتي وقلة حيْلتي وهَواني على النَّاس يا أرحم الراحمين، أنت ربُ المُستضعفين، وأنتَ ربي، إلى مَنْ تَكلُنَي؟ إلى بعيد يَتَجهمْني؟ أمَ إلى عدو ملكتَه أمَري؟ إنْ لَم يَكُن بكَ عَلَيّ غَضَبٌ فلاَ أُبَالي، ولكنَّ عافيتُك هي أوسعُ لي، وأعوذُ بنور وَجْهك الذي أشرَقت لهُ الظُلُمَات، وصَلَحَ عليه أمر الدُنيا والآخرة مَنْ أنْ يَنزل بي غَضَبك، أوَ يَحل عليّ سَخَطُك لَك العُتْبى حتى تَرضْى، ولاَ حولَ ولا قوَة إلا بكَ)[1].

والرسول في مثل هذه الحالة رآه أبناء ربيعة فأخذتهما رقة، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له عداس وقالوا له خذ قطفاً من هذا العنب وأذهب به إلى ذاك الرجل، فلما وضعه بين يدي الرسول (ﷺ)، قال(بسم الله) ثم أكل قال عداس هذا كلام لا يقوله أهل هذه البلده، وسأله الرسول (ﷺ) من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟

١- ابن محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية ،الطبعة الأولى، دار اليقين، ٢٠٠٤م،ج١،ص:٣٨-٣٨.

قال عداس: أنا نصراني من أهل نينوى فقال (ﷺ) من قرية الرجل الصالح يونس بن متى، قال عداس: وما يدريك ما يونس بن متّ؟ قال رسول (ﷺ) ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي فأكب عداس على رأس رسول الله (ﷺ) ويديه ورجليه يقبلها، فقال أبناء ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك وعندما رجع عداس إلى ابني ربيعة قال لهم: ما في الأرض شئ أفضل من هذا الرجل، قد أخبرني بأمر لا يعرفه إلا نبي، فقالا لعداس: ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه[١].

وبعد ذلك رجع الرسول (ﷺ) إلى مكة وهو كئيب[٢] محزون، كسير القلب وعندما وصل إلى قرب المنازل، بعث الله سبحانه وتعالى إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة والأخشبان هما جبلا مكة أبو قبيس والذي يقابله وهو قُعيقعان ولكن النبي (ﷺ) قال: (بل أرجو أن يخرج الله عز وجل من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً)[٣].

وفي هذا الجواب الذي أدلى به النبي (ﷺ) تتجلى شخصيته الفذة وما كان عليه من الخلق العظيم الذي لا يدرك غوره، وعليه أطمأن الرسول (ﷺ) لهذا النصر الغيبي الذي امده الله من فوق سبع سموات وقد توالى نصر الله لنبيه الكريم في عدة حوادث عندما بعث الله نفر من الجن، وذكرهم الله في موضعين من القرآن الكريم في سورة الأحقاف قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ (الأحقاف: ٢٩)، وكذلك قال تعالى في سورة الجن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً • يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً﴾ (الجن: ١-٢).

وهذا نصرٌ أمده الله من كنوز غيبية المكنون التي لا يعلمها إلا هو[٤]. وعليه اتخذ الرسول (ﷺ) أساليب متعددة من أجل نشر الإسلام وتمكين الدعوة ومن

١- ابن محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، المرجع نفسه،ص:٤٢١.
٢- صفي الدين المباركفوري، مرجع سابق،ص:١٥٤.
٣- الأمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ت(٢٥٦ه) المكتبة الرحيمية ،الهند،ص:١٠٩.
٤- الرحيق المختوم، مرجع سابق، ص:١٢٧.

ضمن هذه الأساليب عرض نفسه على القبائل والأفراد ولاقتراب الموسم كان الناس يأتون إلى مكة رجالاً ، وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق، لأداء فريضة الحج ،وليشهدوا منافع لهم، ويذكروا اسم الله في أيام معلومات. فانتهز الرسول (ﷺ) هذه الفرصة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام، ويدعوهم إليه، ويشرح لهم مضمون دعوته ورسالته إلى التوحيد الخالص لله عز وجل إن وجد إليهم استجابة لسماعهم والإيمان به وقد أخذ يطلب منهم في السنة العاشرة من النبوة أن يؤيدوه وينصروه حتى يبلغ ما بعثه الله به[١].

وفي موسم الحج سنة١١ من النبوة يوليو ٦٢٠م، وجدت الدعوة الإسلامية بذوراً صالحة، وسرعان ما تحولت إلى شجرات باسقات اتقى المسلمون بظلالها الوارفة لفحات الظلم والعدوان حتى تغير مجرى الأحداث وتحول خط التاريخ.

وكان (ﷺ) من حكمته وحرصه على الدعوة يخرج إلى القبائل في ظلام الليل حتى لا يحول بينه وبينهم احد من أهل مكة والمشركين وقد خرج ذات ليلة ومعه أبوبكر الصديق، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما ومرّ على منازل ذهل وشيبان بن ثعلبه وحدثهم عن الإسلام، ولكنهم توقفوا في قبول الإسلام[٢].

نسمات يثرب الطيبة:

مرّ الرسول (ﷺ) بعقبة منى فسمع أصوات رجال يتكلمون فقصدهم حتى لحقهم فكانوا ستة نفر من شباب يثرب والملاحظ كلهم من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة من بني النجار، وعوف بن الحارث بن رفاعة من بني النجار، ورافع بن مالك بن العجلان من بني زريق، وقطب بن عامر بن حديه من بني سلمه، وعقبه ابن عامر بن نابي من بني حرام بن كعب ثم عبيد الله بن رئاب من بني عبيد بن غنم وعليه وجد الرسول (ﷺ) من يقيم جهوده وقدراته والواضح أن اللقاء كان عابراً بين الرسول (ﷺ) وبين هؤلاء الأشخاص والدليل على ذلك دعوتهم للجلوس كي يحدثهم، وهذا قدر الله سبحانه وتعالى الذي ساقه لدعوته، هبه منه، وتأكد

١- المرجع نفسه، ص:١٢٨.

٢- بن هشام ،مصدر سابق، ص:١٤٥.

الرسول صلى الله عليه وسلم من هويتهم إنهم من موالي اليهود وهذا يعني أن لا غرابة على أذهانهم الحديث عن الله سبحانه وكتبه ورسله فكانوا يسمعون دائماً من اليهود وهو لا يطرق مسامعهم لأول مرة ودعاهم الرسول (ﷺ) للإسلام وتلا عليهم القرآن الكريم[١]. وقد كان الخزرج مهيئين نفسياً تهيئة كاملة لسماع حديث الإسلام، حيث قال بعضهم لبعض تعلمون والله يا قوم أنه النبي الذي توعدكم يهود، فلا تسبقنكم إليه فأسرعوا إلى إجابة دعوته[٢].

والحديث عن النبي (ﷺ) كان يملأ جو يثرب، بل يهددهم اليهودية، فالداعية أذن لابد له من أن يستفيد من المناخ النفسي الملائم حين يدعو ويستفيد من الأرضية الثقافية لمن يدعوهم إلى الله سبحانه وتعالى[٣].

ولأول مرة تسلم مجموعة كاملة من بلد ناءٍ تصلح أن تكون أساساً ومنطلقاً للدعوة ولقد أبدت هذه المجموعة استعدادها لذلك قائلة: (أنا قد تركنا قومنا وبينهم من العداوة والشر ما بينهم، فعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك وتعرض عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين أن يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك[٤].

وعليه لقد وضعت بذرة أمل جديدة مع هؤلاء النفر الستة أن يمهدوا الجو للرسول الله (ﷺ) في المدينة، وتذلل الخلافات ويقوم هؤلاء النفر الستة بالدعوة إلى الله تعالى فقاموا بأعظم دور في الدعوة لدين الله عز وجل في صفوف الأوس والخزرج حتى انتشر الإسلام في المدينة ولعل هذه السنة التي مرت على الدعوة العام الحادي عشر للبعثة النبوية كانت اكثر بركة من الأعوام العشرة السابقة، ومنعطفاً جديداً في الدعوة بعد جهادٍ مضنٍ وصبر طويل، تحققت على يد هؤلاء النفر الستة حيث وجد المناخ المناسب، والجو الملائم للدعوة الجديدة وبهذا وضح الهدف الثقافي في هذه المباراة التفاوضية، وجاءت من أهم ثمرات الصور النمطية الإيجابية للرسول (ﷺ).

١- بن هشام، المصدر نفسه، ص١٤٥.
٢- ابن القيم شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بكر بن أيوب ، زاد الميعاد، المطبعة العربية، الطبعة ٧،٨، ١٣٤٧هـ، ص١٤٥.
٣- منير محمد الغضبان، مرجع سابق، ص١٤٥.
٤- الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري،باب علامة الإيمان،ج١،ص:١٥٠.

وقد تضمنت البيعة النصوص أو البنود التي ورد ذكرها في كثير من كتب السيرة النبوية وقد قال عبادة بن الصامت: (كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثني عشر رجلاً فبايعنا رسول الله (ﷺ) على بيعة النساء وذلك قبل أن تفرض الحرب على ألا نشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزني ولا نقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا و لا نعصيه في معروفاً (فإن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى الله عز وجل إن شاء عذب وإن شاء غفر)[1].

إن هذه البيعة كانت بيعة ائتلاف في القبيلتين المتنازعتين المتخاصمتين الأوس والخزرج تحت راية الإسلام، وكما هو معلوم إن الإسلام يجمع ويؤلف أينما حل وأينما وجد، ولذلك أعداء المسلمين في بداية عصر الإسلام أرادوا تفتيت الجماعة الإسلامية التي ظهرت كمرحلة متقدمة للدعوة الإسلامية والتوحيد وأخيراً انتهى[2] اللقاء السياسي والتاريخي بين الرسول (ﷺ) وبين الكوكبة النيرة وكان اللقاء عند العقبة بمني وسميت هذه البيعة بيعة النساء وكان ذلك قبل أن تقرر الحرب قال: عباده بن الصامت تأكيداً للبيعة (فبايعت على ذلك) ولقد سميت البيعة بيعة النساء لأنها لم تشتمل على فكرة الحرب والحرب لا تكون إلا بعد البناء الفكري والعقدي للإنسان بعد أن يصاغ على ضوء الإسلام وقيمه يمكن أن يدعى المسلم إلى الجهاد وأنها لثغرة كبيرة أن يندفع المرء إلى الجهاد ولما تتم صياغته الإسلامية إن المفاهيم تختلط في ذهنه بين اندفاعه للجهاد في سبيل الله وبين الحماس لنفسه وأهله وأرضه ومن أجل هذا كانت البيعة الأولى خالية من الحديث عن الحرب وكانت تجربة حية للدعوة قبل المعركة[3].

مصعب بن عمير دبلوماسي مفوض فوق العادة:

وكان التطور الجديد الذي أثمرته بيعة العقبة الأولى هو بعث الممثل الشخصي للرسول (ﷺ) مع هؤلاء المبايعين الدبلوماسي، مصعب بن عمير، كسفير يعلم المسلمين الإسلام ويقوم بنشر عقيدة التوحيد واختار (ﷺ) مصعب بن عمير لهذه

١- محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز التاريخ للخلافة الراشدة،٢٠٠١م ،ص:١١٥.
٢- بن هشام مصدر ،سابق سابق،ص:٣٥.
٣- ابن هشام، المصدر نفسه، ص:٣٦.

المهمة و السفارة، لما يتحلى به من صفات ذاتية ومهنية فقد كانت مهمة مصعب دينية ودعوية وتربوية إضافة إلى ذلك مهمة حركية من حيث التعرف على عدد الأعداد والمبايعة على الإسلام وموقعها وقبائلها وأيضاً مهمة سياسية وهي معرفة مدى قوة الطرف المناهض ومدى تحركاته واستعداداته[١].

وكان على هذا الدبلوماسي أن يبذل جهوده لأحراز تقدم ملموس يترجم استجابات الأنصار، إلى فعل وكان مصعب يعرف بالمقري في يثرب، وقد كانت له دبلوماسية حسنة استطاع أن يجر معه أكبر قيادات الأوس إلى الإسلام، أمثال أسيد بن حضير وسعد بن معاذ، بتوفيق الله عز وجل له وعليه عم الإسلام بني الأشهل وأصبح التيار عارماً والاتجاه سهلاً لقيام الثورة الإسلامية في المدينة[٢].

الأثر التاريخي لبيعة العقبة الأولى:

أولاً: إن الأذى الذي لحق برسول الله (ﷺ) بالطائف، هو من جملة المحن التبليغية التي أراد الرسول صلى الله عليه وسلم تبليغها للناس وعلى المسلم مهما بلغ به من الأذى في سبيل الدعوة أن يصبر ويحتسب، ويتحمل بنفس راضية ومطمئنة ويتجرع الشدائد بقوة إيمان وأن الدعوة اليوم تواجه مثل تلك المصاعب والعقبات فعلى الدعاة التأسى بسيرة الرسول (ﷺ) في مسيرته الدعوية.

ثانياً: أن الصبر على المكاره والشكوى إلى الله سبحانه وتعالى لا يتعارضان، فالشكوى إلى الله تعبد وضراعة، فالمصائب تسوق صاحبها إلى باب الله تعالى واللجوء إليه وعليه كان (ﷺ) يعلمنا في سيرته كلا الأمرين، فكان يصبر على الشدائد وعلى المحن يعلمنا أن هذه وظيفة المسلمين عامة والدعاة إلى الله سبحانه وتعالى خاصة.

ثالثاً: بعد رحلة الاسراء والمعراج المشهورة قد أمر (ﷺ) بإقامة الولاية الإسلامية التي بواسطتها يستطيع الرسول (ﷺ) مجابهة وقائع التاريخ.

رابعاً: أن موقف زيد بن ثابت وحمايته لرسول الله (ﷺ) من أهل الطائف ويقيه

١- صفي الرحمن، الرحيق المختوم، مرجع سابق،ص:١٦٧.
٢- بن هشام، مصدر سابق، ص٤٣٥.

بنفسه حتى أصيب في رأسه ونال من الأذى لهو درس للمسلمين اليوم وما يجب عليهم من حماية قواعد الدعوة الإسلامية ورموزها والدفاع عنهم فعلى دعاة اليوم ترسم خطى النبي (ﷺ) و التأسي به ولابد لهم من تحكيم الهدف أولاً ثم تحكيم الخطة ثانياً كما كان يفعل الرسول (ﷺ). كان اللقاء مع وفد يثرب في بيعة العقبة الأولى هو بداية الأمل في النصر بالنسبة للنبي (ﷺ) حيث فتحت هذه البيعة أمامه أفاقاً واسعة، فإذا كانت مكة قد رفضت الإيمان بالله ورسوله فها هي يثرب تبعث اليه بأهلها وتفتح له ذراعيها فيثرب لم تكن مجهولة بالنسبة للنبي (ﷺ) ففيها أخوال جده عبدالمطلب وقد زارها وهو طفل صغير لزيارة قبر أبيه عبدالله في صحبة أمه[1].

هذه البيعة سميت بيعة النساء وجاء ذكرها في سورة الممتحنة: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (الممتحنة: ١٢). ولذلك كانت البيعة الأولى خالية من الحرب وكانت تجربة حية للدعوة قبل المعركة.

المبحث الرابع

بيعة العقبة الثانية٦٢٢م/١٣ من النبوة

الاجتماع التاريخي الذي حول مجرى الأيام في صراع الوثنية والإسلام بعد نجاح مصعب بن عمير في مهمته ونجاحه في إقبال أهل يثرب على الإسلام، وأن وفداً كبيراً منهم سوف يقدم إلى مكة في موسم الحج القادم وسوف يلقاهم ويرى من حالهم ما يسره وفعلاً في موسم الحج في السنة الثالثة عشر من النبوة حضر لأداء مناسك الحج حوالي سبعون نفراً ونيف من المسلمين لأداء فريضة الحج من أهل يثرب منهم امرأتان وجميعهم من مسلمي يثرب، فاتصلوا بالنبي (ﷺ) وقد رأى (ﷺ) أنه من السياسة أن يتحرك (ﷺ) بسرية تامة لمقابلتهم، فاتصلوا بالنبي (ﷺ) واطمأنوا على وضع الإسلام في يثرب وقد تساءل هؤلاء المسلمون فيما بينهم

١- ابن هشام، السيرة النبوية، مصدر سابق ، ص:٣٨١.

وهم لا يزالون في يثترب، أو كانوا في الطريق حتى متى نترك رسول الله (ﷺ) يطوف في جبال مكة ويطرد ولحظة وصولهم جرت بينهم وبين الرسول (ﷺ) اتصالات سرية أدت إلى اتفاق بين الطرفين على أن يجتمعوا في أواسط أيام التشريق في الشعب عند العقبة حيث الجمرة الأولى من منى وتكون المقابلة حيث يمضي ثلث الليل[١] .

وفي هذا الوقت جالت بخاطر النبي(ﷺ) فكرة أن يخطو مع أهل يثرب خطوة إلى الأمام، فلا يكتفي بدعوتهم إلى الإسلام على نحو ما فعل مع أخوانهم في العام السابق بل أراد أن يعقد معهم حلفاً، ولا مانع من أن يهاجر إلى بلدهم إذا توفرت لديهم الاستجابة الكافية إلى ذلك ، ولنستمع لحديث شاهد العيان وهو يحكي لنا الاجتماع التاريخي، وهو كعب بن مالك الانصاري، وهو من شهد البيعة حيث يقول: خرجنا إلى الحج وواعدنا رسول الله (ﷺ) بالعقبة من أواسط أيام التشريق بعد انتهاء الحج ، فكانت الليلة التي واعدنا بها رسول الله (ﷺ) ومعنا عبد الله بن عمر بن حرام أبو جابر وكان سيداً من ساداتنا وشريفاً من أشرافنا صحبناه معنا، وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا، فأخبرناه وقلنا له يا أبا جابر أنت سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا، وأنا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً[٢].

المبحث الخامس

دور المرأة المسلمة في بيعتي العقبة الأولى والثانية

ثم دعوناه للإسلام، وأخبرناه بميعاد الرسول (ﷺ) فقال: أسلم، وشهد معنا العقبة الأولى وكان نقيباً[٣]، ثم يواصل كعب حديثه فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحلنا حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحلنا لميعاد الرسول (ﷺ) مستخفين

١- ابن هشام ،السيرة النبوة،،ص:٢٣٩-٢٤٠.
٢- الحافظ بين كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، بدون تاريخ طبع،بيروت،مكتبة المعارف، ص:٢٨.
٣- صفي الرحمن ، الرحيق المختوم،، قطر،٢٠٠٩م ص:١٥٠،١٣٨.

نتسلل تسلل القطا[1] (طائر مشهور بثقل مشيته) حتى اجتمعنا في شعب عند العقبة ونحن سبعون رجلاً ومعنا امرأتان نسيبة بنت كعب وأم عمارة، أحدى نساء بني مازن فهي صحابية من الانصار الذين وصفهم الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩) .

وهي من بني النجار من أخوال النبي (ﷺ) اسهمت هذه الصحابية في خدمة الإسلام والمسلمين وأخوها عبد الرحمن من البكائيين السبعة، جاءوا إلى الرسول (ﷺ) في غزوة تبوك وطلبوا منه رواحل ليركبوا عليها ويذهبوا معه في سبيل الله فلم يجدوا عنده ما يحملهم عليه ورجعوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً فسموا البكائيين ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ﴾ (التوبة: ٩٢).

وقد شهدت أم عمارة ليلة العقبة، وواقعة أحد والحديبية ويوم حنين ويوم اليمامة وهي أم حبيب الذي أرسله الرسول (ﷺ) إلى مسيلمة الكذاب وقطعة مسيلمة الكذاب عضواً عضواً وهي صابرة محتسبة وسجدت لله شكراً أن قتل مسيلمة وظلت أم عمارة تحظى بالمكانة اللائقة في حياتها، وقد تحدثت أم عمارة عن بيعتها وقالت كان الرجال تصفق على يد الرسول (ﷺ) ليلة العقبة والعباس عم النبي (ﷺ) آخذ بين يدي رسول (ﷺ) فلما بقيت أنا وأم منيع أسماء بنت عمرو بن عدي السلمية نادى زوجي غزية بن عمرو: يا رسول الله هاتان امرأتان حضرتا معنا يبايعنك فقال (ﷺ) : (قد بايعتهن على ما بايعتكم عليه وأني لا أصافح النساء)[2].

وأسماء هي بنت عمرو بن عدي بن سنان ناني وهي ابنة عمة معاذ بن جبل وكانت لها مواقف في حياتها مع الرسول (ﷺ) وكان حقاً ولزاماً على المرأة أن تنصر الإسلام ولقد أقر الإسلام للمرأة بحقوقها في المشاركة السياسية ولعبت

١- القطا طائر معروف بثقل ريشه.

٢- ابن حجر أحمد بن علي بن محمد ،الإصابة في تمييز الصحابة، دار الكتب العلمية بيروت،ب. ت.ط،ص: ١٦٠.

المرأة دوراً كبيراً في نصرة الإسلام والتمكين له منذ البعثة وعبر مختلف العصور التاريخية وإن اختلف هذا الدور من وقت لآخر[١].

وقد سجل التاريخ في سجلاته الدور السياسي لسيدات الأنصار اللائي اشتركن في البيعة وهن مبايعات لحضرة النبي (ﷺ) على السمع والطاعة والنصرة والحماية وهذا دليل واضح على أن المرأة لم تستبعد في التاريخ الإسلامي والسياسي للدولة الإسلامية من مراحلها وكذلك قد شاركت النسوة في إثراء العقد الاجتماعي أو دستور المدينة الذي وضعه الرسول (ﷺ) وأقرته جميع طوائف المدينة في السنة الأولى للهجرة النبوية[٢].

وفي بداية الاجتماع كان العباس أول متكلم أراد أن يطمئن على أمر ابن اخية وقد كان العباس آنذاك على دين قومه فتحدث العباس فقال: يا معشر الخزرج وقد كانت العرب تسمي هذا الحي من الأنصار الخزرج خزرجها وأوسها، إن محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وأنه أبى إلا الإنحياز إليكم واللحوق بكم فإن كنتم ترون إنكم وافون بما دعوتموه إليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم فمن الآن فدعوه، فإنه في عزة ومنعة من قومه وبلده فقلنا له: قد سمعنا ما قلت، فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت وعندما سمع الوفد مقالة العباس ولم يخف ما فيها عليهم فقد مست كرامتهم ومشاعرهم فأجباهم النبي (ﷺ) (أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم) ومعنى هذا أن النبي (ﷺ) طلب منهم تعهداً لحمايته والدفاع عنه ضد أي عدوان يقع عليه من أي قبيلة من قبائل العرب، فتقدم البراء بن معرور وهو من كبار رجال الوفد وقال: (بايعنا يارسول الله فنحن والله أبناء الحرب وأهل الحلقة ورثناه كابراً عن كابر فقام زعيم آخر من زعماء القوم فطرح أمام النبي (ﷺ) تساؤلاً ليستوثق هو أيضاً لقومه فقال أبو الهيثم بن التيهان:(إن

١- ابن هشام، مصدر سابق، ص:٤٤٢.
٢- ابن هشام، مصدر سابق، ص:١٢١.

بيننا وبين القوم ،يقصد اليهود حبالاً(عهوداً) ومواثيق نحن قاطعوها فهل عسيت أن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا) فتبسم النبي (ﷺ) وأجاب في عبارة واضحة قاطعة بل الدم الدم والهدم الهدم) أي أنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم وقد كان العباس يرمي منذ بداية الحوار إلى أن يشرح للمبايعين خطورة الموقف والمسئولية التي ستلقى على كواهلهم نتيجة هذا التحالف الديني والعسكري وكان جوابهم كافٍ من حيث تحمل المسئولية والشجاعة والإخلاص[1].

وقد كان هذا أعمق تخطيط سياسي شهده التاريخ وأدى في النهاية إلى ميلاد دولة الإسلام الأولى في التاريخ وعليه تأتي الخطوة الثانية من التخطيط العبقري، وهو الخروج المنظم لموعد الاجتماع وهذه هي بداية انبثاق دولة الإسلام وبداية تحديد معالمها وقياداتها وهي في وسط جزيرة ضعيفة وسط خضم من الشرك مثله العرب جميعاً من حجاج منى أولاً، ثم دوله مكة المشركة ثانياً، ثم قيادة المشركين من أهل يثرب ثالثاً، ثم دوله اليهود في المدينة رابعاً، ووسط هذا العدو العاتي المحيط بالمسلمين من كل جانب إحاطة السوار بالمعصم ووسط هذا الخضم أنبثقت دولة الإسلام الأولى في التاريخ. لقد كان المسلمون البالغ عددهم بضعة وسبعين ضمن وفد من المشركين قوامه حوالي ثلاثمائة ، وهذا يعني صعوبة الحركة والتنقل والاتصال فما من مسلم إلا وحواليه عدد من المشركين يراقب تنقلاته وحركاته ، ومع ذلك فقد كانت السرية المضروبة على التحركات خلال الحج من أعجب العوامل التي أدت إلى نجاح المخططات[2].

ثم بعد ذلك تمت الاتصالات بين قيادات مكة المسلمة المتمثلة برسول الله (ﷺ) وقيادة المسلمين في المدينة ثم تم تحديد موقع اللقاء وثم تحديد مكان اللقاء ، وتم اللقاء نفسه ولم يعرف هذا اللقاء السري حتى المهاجرون إلا من كانت له مهمة خاصة في الحراسة أو المراقبة أمثال أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، وبعد أن تمت المحادثة حول

١- اصفي الرحمن، الرحيق المختوم،ص:١٧١.

٢- محمد حسين هيكل، حياة محمد (ﷺ)، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨م، ص:١٢٥.

شروط البيعة وأجمعوا على الشروع في عقدها قام رجلان من الرعيل الأول ممن أسلموا في مواسم سنتي ١١-١٢ من النبوة ، قام أحدهما تلو الآخر ليؤكد خطورة المسئولية ، حتى لا يبايعوه إلا على جلية من الأمر وليعرفا مدى استعداد القوم للتضحية ويتأكد من ذلك. ولما اجتمعوا للبيعة قال العباس بن عبادة بن نضلة: هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا: نعم قال: إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتالاً اسلمتموه فمن الآن، فهو والله إن فعلتم خزي الدنيا والأخرة وإن كنتم ترون إنكم وافون له بما دعوتموه إليه على نهكه الأموال وقتل الأشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة ، قالوا فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك قال (ﷺ): (الجنة)[١].

وتلخص بنود بيعة العقبة الثانية في الآتي:

١. السمع والطاعة في النشاط والكسل.
٢. النفقة في اليسر والعسر.
٣. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٤. القيام لله (ولا تأخذكم في الله لومة لائم).
٥. على أن تنصروني إذ قدمت إليكم تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة[٢].

وهذه هي طبيعة معركتنا اليوم كما كانت طبيعة المعركة يوم العقبة وأننا حيث نعرف طبيعة المعركة نعرف طبيعة الحركة من خلالها فهذه هي بيعة الرجال وهذه حدودها وظروفها وطبيعتها وقد أوضح الرسول (ﷺ) إلى صحابته خط السير فمن رضيه على هذا الأساس فمرحباً وأهلاً فليتقدم وليبايع ومن لم يرض فهو وشأنه ولكن لا غش ولا لبس ولا غموض ، فالطريق صعب والطريق شائك والطريق طويل وقد كانت قيادات الأنصار على مستوى المعركة ولم تغش قواعدها ولم تدغ

١- عصمت محمود واشي،النبي وقيادة الأمة ،مكتبة بحر العلوم، القاهرة،ط١، ص:١١٣.
٢- عصمت محمود، المرجع السابق، ص:١١٣.

أحلامهم وكانوا من وراء ذلك يرجون الجنة وهل يقبل أي حليف سياسي كافر بهذا الثمن؟ هل يصدق أصلاً أن هنالك جنة؟ فالمعركة إذن معركة الجنود المؤمنين معركة القاعدة الإسلامية الصلبة العريضة في الأرض وليس الاتجاه الدقيق هو اتجاه التحالف السياسي بل اتجاه البناء الداخلي. وأن ظروفنا الآن هي ظروف بيعة العقبة وهي ظروف بيعة الحرب ونحن الآن في مرحلة المواجهة للأعداء السافرين ومع قوى الأرض وذخيرتنا هي قاعدتنا الصلبة وهي قواعدنا المؤمنة التي ترضى بالجنة ثمناً لحرب الأحمر والأسود من الناس وترضى بالجنة ثمناً لمفارقة كافة الناس وليس عند القيادة ثمنان ليس عند الله تعالى الذي نبايعه في هذه الظروف إلا الجنة كما نطق رسوله بذلك وبعد ذلك نجحت المبايعة وانتهت دون أن يشعر بها أحدمن المشركين لأنها نفذت نتيجة تخطيط عميق دقيق وظهر هذا التخطيط المحكم من النبي (ﷺ) من خلال اختيار المكان المناسب هو الشعب الأيمن من العقبة بعيداً عن الأعين وأنظار من يستيقظ من النوم لحاجته وزمن الانطلاق المناسب للمكان المتفق عليه ، وذلك بعد ثلث الليل في الليلة الأخيرة من ليالي الحج ولا شك أن جموع الحجيج في ذلك اليوم كانوا قد انهكهم التعب بعد الانتهاء من مناسك الحج وخضعوا لنوم عميق وثمة خطة راشدة أخرى في اختيار آخر ليلة من ليالي الحج بالذات حيث سيرجع الحجاج إلى بلادهم صباح اليوم التالي لهذه البيعة[1]، وعليه سوف تضعف الفرصة أمام قريش في إعاقة أمر هذه البيعة أو اعتراضها لأن كل من بايع ولم يبايع مشغول في ذلك اليوم بعودته إلى وطنه ورجوعه حيث كان وهذا ما كان وفي ذلك تتجلى عبقرية الرسول (ﷺ) وحسن سياسته وكيفية الوصول إلى المكان المتفق عليه والسرية في مداولات اللقاء وكتمانها من الآخرين فلم يشعر بها أحد رغم كثرة عدد المشركين وحرصهم على إفشال كل حركة لتقدم دعوة الإسلام وكذلك السرية في الإنصراف وكون المخطط (ﷺ) والمنفذين في غاية الحرص على تحقيق أهدافهم دون الوقوع في أي خسائر[2].

١- عصت محمود واشي، النبي وقيادة العالم، مرجع سابق، ، ص:٨١-٨٢.

٢- الشيخ عبد الله بن محمد النجدي، مختصر سيرة الرسول (ﷺ)، مصر ،المطبعة السلفية ١٣٧٩ه،ص:٧٥.

وبهذه البيعة أخذت خيوط من النور تظهر في الأفق السياسي تشير إشارة غير خفية للمخطط السياسي الإسلامي الرسول (ﷺ) في كونه لا يهدف بالهجرة من مكة إلى المدينة للتخلص من العذاب والاستهزاء ولكنه يهدف إلى إقامة مجتمع جديد في بلد آمن ولما وجد النبي (ﷺ) أن العدد كثير والجمع غفير رأى أنه من السياسة والحكمة في التعامل مع هذا الموقف أن يخرجوا منهم أثني عشر نقيباً ليتحدث إليهم فقال الرسول (ﷺ) أخرجوا إلى منكم اثني عشر نقيباً يكونوا على قومهم فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيباً منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس وهنا تظهر سياسة الرسول (ﷺ) القيادية ، فليس من الحكمة أن يوجه هذا الكلام إلى كل هذا الجمع إذ من المحتمل أن يكون من بين هؤلاء الأعداد الكثيرة من لا يعي تمام الوعي أبعاد كلام الرسول الله (ﷺ) فيكثر النقاش وترتفع الأصوات ويفسد الأمر وعليه رأي الرسول (ﷺ) أنه من الحكمة أن يتكلم مع النقباء فقط وتلك سياسة رشيدة للنبي (ﷺ) لأنه أراد أن يحيط أمر هذا الاجتماع بسياج من السرية والكتمان، وعليه تمت البيعة الثانية التي تعد من أخطر المعاهدات في التاريخ الإسلامي كله حيث مهدت الطريق أمام النبي (ﷺ) لينشر دعوته ويبلغ رسالته ويضع الأساس للدولة والحضارة الإسلامية التي ملأت الدنيا طولاً وعرضاً[١].

وعليه مفهوم الاختيار والانتخاب في نظام الحكم الإسلامي مفهوم أساسي والقريب في الأمر أن يوجد من يناقش هذا المبدأ في صفوف المسلمين ومن يناقشون في هذا الأمر يقوم تصورهم على أن الأمير في الإسلام هو الحاكم المطلق الذي لا يناقش إلا إذا عصى الله تعالى، ولا يقيمون وزناً لرأي القواعد الإسلامية في اختيار قيادتها الحاكمة. وهو تصور مخطئ ولا شك وإن في هذه الأمة من يحق له أن يستعمل رأيه دون الرجوع إلى القواعد المسلمة فهو رسول الله (ﷺ) لأنه المؤيد بالوحي من الله تعالى والناطق به وكان بإمكانه عليه الصلاة والسلام وهو يقوم على اختيار المسؤولين لديه أن يختار الذين بايعوه بيعة العقبة الأولى وكانوا اثنى عشر رجلاً وقد خَبَرهم وخبر صدقهم وحسن ولائهم، ومع ذلك لم يفعل هذا عليه

١- أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي،تلقيح فهوم أهل الأثر،ب.ت،ط،ص:١٠٢.

الصلاة والسلام وكان تصرفه هذا درساً بليغاً للمسلمين في الأرض وعلى مدى تاريخ حياتهم وعن كيفية اختيار الحاكم واعتبار رغبة الأمة أو أهل الرأي فيها هي الأساس الذي يقوم عليه الاختيار ولم يتدخل عليه الصلاة والسلام من قريب أو بعيد بهذا الاختيار وما أحرانا أن نتعلم من هذا العمل النبوي قواعد الحكم الشورى والتنفيذ العملي له والمسؤولية قدر الصلاحية، فقد حدد الرسول (ﷺ) المسؤولية لهؤلاء النقباء الاثني عشر ، بعد أن اعتبرهم القادة المسؤولين وواجبهم أن يكونوا كفلاء على قومهم من المسلمين الذين بايعوا في العقبة، والذين قاموا في يثرب هم المسؤولون عن تصرفاتهم وانضباطهم وطاعتهم والتزامهم بأوامر الدين الجديد وبعدم الإخلال في أحكامه ، وهم محاسبون أمام الرسول (ﷺ) وأخطاء القاعدة تحاسب عنها القيادة طالما أن لها صلاحيات الحكم والتوجيه فيها وتبدو العظمة النبوية بأجلي صورها حيث لم يعف رسول الله (ﷺ) نفسه من المسؤولية بل أعلن التكافؤ بها فقال: وأنا كفيل على قومي وقد كان ممثلو الخزرج أو نقباء الخزرج هم أسعد بن زرارة ، سعد بن الربيع بن عمر، عبد الله بن رواحه، عبادة بن الصامت بن قيس، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو بن خُنيس، كان نقباء الأوس منهم أسيد بن حضير بن سماك، وسعد بن خثيمة بن الحارث، رفاعة بن عبد المنذر بن الزبير، فخاطبهم النبي (ﷺ) قائلاً لهم: أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومي يعني المسلمين قالوا: نعم)[1].

وتظهر خطورة المسؤولية لهذه الحكومة المنتخبة حيث نذكر أن حرب بعاث بين الأوس والخزرج لم تجف دماؤها بعد، فإمكانية اشتعال الحرب بينهم قائمة في كل لحظة فلابد أن تتمكن هذه الحكومة الائتلافية من الأوس والخزرج أن تضمن استقرار الأوضاع في المدينة ومعالجة الأوضاع الصعبة فيها والحيلولة دون اندلاع الحرب من جديد ، ويبدو الأمر أشق وأعسر حيث نتصور أنه لا بد من تكوين إلتام كامل بين المسلمين الأوس والخزرج فليس من المهم أن تخف البغضاء بينهم فقط بل لابد من أن يسود الحب والوئام بينهم ولابد من أن يكون التفاهم بين

١- صفي الدين المباركفوري ، الرحيق المختوم، ص:١٥٧.

أعضاء الحكومة على مستوى رفيع جداً[١].

ولقد أثبتت الأيام الكفاءة العالية لهذه الحكومة ، وكيف أنها استطاعت أن تتغلب على هذه الصعاب جميعاً ، وتكون مجتمعاً مثالياً بتوفيق الله لها وكانوا بثناء الله عليهم يمثلون الصورة المثلى للمؤمنين كما ذكرهم جل وعلا : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر: ٩) .

إن عملية رص الصف الداخلي وتوحيد النفوس، نحو هدف واحد وربط القواعد بقياداتها في ثقة قوية هي من أصعب الأمور على المرء فالنفوس المختلفة والأهواء المتباعدة والصراعات والتناحرات قد تسيطر أحياناً فتبتلي القيادة فيها وتنتقل هذه الخلافات إلى صفوف القواعد فيتحزبون لفلان وفلان وبذلك تكبر الهوة ، ويتسع الخرق على الراتق و الأمير الأول له دور رئيس في ضبط الصف والتأليف بين القلوب المتناحرة في اتجاهات شتى، وهو مسؤول كذلك عن تألف هذا الصف وترابطه وتوفيق الله تعالى وتسديده هو الذي ساعد في هذه الوحدة ، أما البشر فهم أعجز من ذلك ويكفينا في هذا المجال قوله تعالى لرسوله: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٦٣).

تحديد المعركة من قبل القيادة:

يقول كعب بن مالك: (فلما بايعنا رسول الله (ﷺ) صرخ شيطان العقبة بأنفذ صوت قط يا أهل الجباجب(أي المنازل) هل لكم من مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم) فقال رسول الله (ﷺ) هذا أزب العقبة[٢] أما والله يا عدو الله لأفرغن لك، ثم قال رسول الله (ﷺ) : أرفضّوا أي(أنصرفوا) إلى رحالكم قال فقال له العباس بن نضلة: والذي بعثك بالحق إن شئت لنملين على أهل منى غداً بأسيافنا فقال رسول الله (ﷺ) لم نؤمر بذلك ولكن أرجعوا إلى رحالكم[٣].

١- بن هشام مصدر سابق،ص:٤٤٨.
٢- ازَب العقبة: شيطانها.
٣- السيرة النبوية، ابن هشام،ص:٤٤٦.

ولكن أين طواغيت الأرض من هذه البيعة الفريدة في تاريخ الأرض وأين كان مشركو المدينة والبيعة تتم على رؤوسهم؟ وأين كانت قريش والبيعة تريد أن تحطم طاغوتها وكبريائها وهي تحاد الله وتكذب رسوله؟ وأين كان الحجيج المشرك والبيعة ستنتهي إلا يحج بعد العام مشرك و لا يطوف بالبيت عريان، نقول هذا عن العدو القريب الذي كان وضع هؤلاء السبعين بالنسبة لهم كوضع اللقمة بين فكي الأسد ولا نذكر ملوك الأرض الأبعدين كسرى وقيصر وحلفاءهما عبيدهما، أين كان كل هؤلاء؟ كانوا يشخرون في نومهم ويقطون في سباتهم عين الله تعالى تكلأ هذه العصبة المؤمنة والشاهد الوحيد الذي كان يقضم أسنانه غيظاً ويعض أصابعه ندماً هو الشيطان الرجيم وانتظر حلفاءه في الأرض كلها لم يتحرك أحد على أخطر بيعة في الأرض فما تمالك إلا أن صرخ أذن الشيطان ساهر ليمزق كل بيعة على الجهاد في سبيل الله ولن ينثني بنفسه وحلفائه عن هذه الحرب فهذه مهمته وقد قتلته عبقرية النبوة السياسية التي حققت كل هذه الانتصارات والشرك غاف كالمقبور لا يدري ما يجري حوله فهل لنا بمثل هذه العبقرية في تحركنا الجديد اليوم وقد كان المبايعون على استعداد للتو لتنفيذ بنود البيعة بل أكثر من البنود لأن يحموه (عليه الصلاة والسلام) وهو في مكة ويأتي الجواب النبوي العظيم أنهم لم يؤمروا بالقتال وأن دم المسلم أشد عند الله تعالى حرمة من الكعبة المشرفة ، فكيف يسقط هذا الدم دون مقابل؟ فالنبي (ﷺ) هو الذي يحدد المعركة ومكانها[1].

ردود قريش واحتجاجها على هذه البيعة:

عاد زعماء مكة وعندما قرع هذا الخبر مسمع قريش جن جنونهم ووقعت فيهم ضجة أثارت القلاقل والأحزان وساورهم الشك لأنهم كانوا على معرفة تامة من عواقب مثل هذه البيعة ونتائجها بالنسبة لأنفسهم وأموالهم ، فما أصبحوا حتى توجه وفد كبير من زعماء مكة وأكابر مجرميها إلى مخيم أهل يثرب ليتقدموا بالاحتجاج الشديد على هذه البيعة وخاطبوا معشر الخزرج الذي كان لا يعلم بشئ عن هذه البيعة لأنها تمت في سرية تامة في ظلام الليل وأكد لهم ذلك عبد الله بن

١- أبو بكر أحمد بن حسين علي البيهقي،السنن الكبرى،٣٨٤ه،ص:١٦٠.

سلول أما المسلمون فنظر بعضهم إلى بعض ثم لاذوا بالصمت فلم يتحدث أحداً منهم بنفي أو إثبات ومال زعماء قريش إلى تصديق المشركين فرجعوا خائبين[١].

وعليه أصبح زعماء مكة على شبه اليقين من كذب هذا الخبر ولكنهم لم يزالوا (يكثرون البحث) ويحققون النظر حتى تأكد لهم إن الخبر صحيح وأن البيعة قد تمت فعلاً وذلك عندما رجع الحجيج إلى أوطانهم، فسارع فرسانهم لمطاردة اليثربيين ولكن بعد فوات الأوان، إلا أنهم تمكنوا من رؤية سعد بن عبادة والمنذر بن عمرو فطاردوهما والمنذر استطاع أن يفلت من القوم ولكن سعد ألقوا القبض عليه فربطوا يديه إلى عنقه بنسع رحله، وأخذوا يضربونه ويجرونه ويجرون شعره حتى ادخلوه مكة فجاء جبير بن المطعم بن عدى بن الحارث بن حرب بن أمية فخلصه من أيديهم لأن سعد كان يجير لهما قوافلهما المارة بالمدينة وتشاورت الأنصار حين فقدوه أن يكرو إليه فإذا هو قد يطلع عليهم فوصل القوم جميعاً إلى المدينة[٢].

تحركت قريش كالذي أصابه الشيطان من المس وجاءت إلى مخيم الخزرج وراح المشركون يحلفون بالله ما فعلوها، وهم صادقون، وأخذ عبد الله بن أبي ينفي الأمر نفياً قاطعاً ويؤكد استحالته. والسؤال الذي يطرح نفسه لماذا لم يعلن الرسول (ﷺ) في مكة وحلفه ودولته؟ وقريش تبحث عن الخبر والمسلمون يلوذون بالصمت والمشركون يحلفون الإيمان الغليظ على كذب هذا الادعاء[٣].

وقد أراد الرسول (ﷺ) من عدم إعلان دولته في مكة وحلفه لأنه رأي أن الظروف غير مواتية لهذا الإعلان وطاقة المسلمين ضعيفة إذا قيست بطاقات مكة والمشركين عامة في أرض مكة أو إعلان الحرب على دولة الكفر أو إعلان قيام دولة إسلامية كل هذه الأمور رهينة بالإمكانيات التي تملكها الجماعة المسلمة فمن التخطيط المنظم المحكم لها لا تتحرك هذه الأمور أبداً بالعواطف وردود الفعل وإنما تتحرك بقرار القيادة المناسبة للإعلان والتي تتوخى القيادة فيه الظروف المواتية[٤].

١- محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت،ص: ٢١٠-٢١١.

٢- الحافظ بن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثيرالدمشقي، ، البداية والنهاسة،مكتبة العارف، بيروت،ص:١٦٤. ابن هشام السيرة النبوية،ص:٥٦٥.

٣- ++++++

٤- ابن حاتم محمد بن حبانبن أحمد التيمي البستي، السيرة النبوية ،،مؤسسة الكتب الثقافية،بيروت ،د.ت. ط. ص:١٤٠.

وأن الرسول (ﷺ) أرجأ الإعلان عن هذا التخطيط لأنه وجد الفرصة غير مواتية في قلب بحر الشرك وفي مكان غير مركز قوة الأنصار(المدينة) ورغم الاحراجات الشديدة التي تعرض لها المسلمون أمام إلحاح قريش بالتأكيد من الخبر فلو أعلن ذلك كانت قريش قادرة و من ورائها الحجيج المشرك أن تزيح هؤلاء السبعين جميعاً وتنتهي قصة الإسلام في الأرض وأن تجربة حماة كذلك درس قيم لحركة الجهاد الإسلامي فإعلانها المواجهة المباشرة للسلطة ولم تعد الظروف المواتية لذلك أدى إلى دمار المدينة وسقوط عشرات الألوف صرعى فيها[1].

أن كتمان القيادة بعض الأمور عن أفرادها لا يعني أتهامها بالكذب أو الخداع أو التضليل حتى لو أتت الظروف المواتية في ظاهر الأمر لذلك فلم نلمس من خلال السيرة أن المسلمين المهاجرين قد عرفوا بقضية البيعة غير أبي بكر وعلي (رضى الله عنهما) فلا ضرورة للإعلان عن مثل هذا اللقاء ومثل هذه البيعة لهم ما لم يتم تكليف جديد لهم على ضوء هذه البيعة ولم يجعل هذا الأمر المهاجرين في قلق وتوتر لكتمان ذلك عنهم حينما عرفوه فيما بعد فالروايات تذكر أن الرسول (ﷺ) بعد لأي من الزمن وحين استقرت الأوضاع في المدينة أخبر المهاجرين: (أن الله قد جعل لكم أخواناً وداراً تأمنون فيها)إذاً قد تم إعلانهم بالأمر عندما تقرر فتح باب الهجرة إلى يثرب ويؤكد على هذا المعنى النتائج الصعبة التي ترتبت على تفشي هذا الخبر مما أوقع سعد في الأسر وكان يمكن أن يقتل ويفشل هذا التنظيم ولو لا لطف الله والملاحظ أن رسول الله (ﷺ) والمسلمين لم يتدخلوا لحماية سعد لأن هذا قد يكشف البيعة ويؤكدها بين المسلمين والأنصار، كما أن رسول الله (ﷺ) لا يريد أن يثير معركة جانبية قبل الإعداد الكامل لها[2]. واستطاع الرسول(ﷺ) أن يؤجل الدماء حتى قامت الدولة الإسلامية.

١- ابن هشام،لسيرة النبوية ، ص: ٤١٨٠.

٢- صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم،ص:١٧٣.

المبحث السادس

الأثر الاجتماعي والتاريخي لبيعة العقبة الثانية

وبعد أن تمت البيعة ووفق الرسول (ﷺ) من خلال دبلوماسيته في تأسيس دولة وسط الصحراء التي تموج بالكفر والجهالة وهو أهم مكسب حصل عليه الرسول (ﷺ) منذ انطلاق دبلوماسيته العلنية وأذن (ﷺ) للمسلمين بالهجرة إلى يثرب وعليه كانت بيعة العقبة الثانية هي الأساس الذي هاجر عليه الرسول (ﷺ) وإن الانتقال إلى المدينة ليس أمراً سهلاً ولكنه نقطة تحول كبرى في حياة تاريخ جماعة الإسلام التي مهدت لها بيعتا العقبة الأولى والثانية وقد كانت بيعة العقبة مهداً مربحاً في مسيرة تاريخ الدعوة الإسلامية والذي يطالع تاريخ هؤلاء الثلاثة والسبعين نفر الذين بايعوا الرسول (ﷺ) كانوا بجواره في جميع غزواته وقد سجل سِجل التاريخ مشاركة نسيبة بنت كعب في غزوة أحد مع زوجها زيد بن عاصم وكذلك شهد لها التاريخ بمشاركتها في معركة اليمامة في حروب الردة مع خالد بن الوليد . وعليه فقد كانت بيعتا العقبة الأولى والثانية خير استهلال لتاريخ قيام الدولة الإسلامية .

وبموجب انعقاد البيعة انبثقت دولة الإسلام الأولى في التاريخ وهذه البيعات من خلالها استطاع المسلمون أن يسجلوا في التاريخ أعمالاً جليلة ويتركوا أثاراً لم نرى نظائرها في الغابر والحاضر ونأمل ألا يخلو منها المستقبل ولا يخلو المجتمع المسلم المعاصر من هذه التضحيات التي نحتاجها اليوم حتى نتمكن من تحكيم الهدف أولاً وتحكم الخطة ثانياً ونكون أدرى بما نكون بالعدو ثالثاً وتدفع بالعبقري السياسي للحركة رابعاً ونطلب النصر من الله سبحانه وتعالى قبل وبعد بذل هذه الامكانيات . عندما وصل النبي (ﷺ) إلى المدينة وجد مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها متفرقة في اجتماعياتها وكانت بينهم خلافات قديمة موروثة واستطاع الرسول (ﷺ) بعد الهجرة أن يبني المسجد النبوي الذي اصبح داراً للمسلمين وتمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وأصبحوا امة واحدة وسجلت هذه المؤاخاة على صفحات القلوب فكانت اقوى من التدوين ،ثم بعد ذلك اتجه (ﷺ) ومن معه إلى تأسيس الدولة الإسلامية التي أصبحت تتأهب لدخول مرحلة جديدة وهي مرحلة تثبيت أركان الدولة الإسلامية.

المبحث السابع

الخاتمة – النتائج – التوصيات – المصادر – المراجع

الخاتمة

الحمد الله والثناء على مصطفاه – وبعد

مهد الرسول (ﷺ) لقيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة فبايع أهلها قبل أن يصل إليها وأخذ عليهم العهود والمواثيق قبل أن ينتقل إليهم وبدأ ذلك منذ أن كان يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج وكيف يقبلها ليس من عنده إيمان راسخ وقلب صادق ويقين ثابت وآنذاك معظم القبائل حديثة عهد بالإسلام ولم تتأثر به ولذلك نجد النبي (ﷺ) يطوي مطلب النصرة والمنعة مؤقتاً إلى أن تتشرب القلوب الإيمان ويخالط وجدانها وتشعر بحلاوته فاكتفى (ﷺ) في البداية بالدعوة إلى التوحيد وعمل على تعميق الإيمان بالله الواحد في قلوب الناس وإلى نبذ عبادة ما سواه ، وعليه طوي الرسول (ﷺ) مطلب النصرة مؤقتاً لأنه كيف يطلب من الناس ينصرونه ويعادوا قريشاً من أجله أو من أجل دينه ودعوته التي لم تدخل في قلوبهم بعد ، وعليه صرف النبي (ﷺ) كل همه وهمته إلى الدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده وعمل على ترسيخ ذلك في قلوب الناس وأراد الله سبحانه وتعالى أن ينصر نبيه ودينه ووسط هذا الإعراض والنكول ظهرت بارقة الأمل في العام الحادي عشر من البعثة الموافق ستمائة وعشرين من الميلاد عندما قابله وفد المهاجرين من القبائل وشرح لهم دعوته ووعدوه خيراً وكانوا نواة لقيام الدولة الإسلامية وتمهيداً لنصرة الإسلام والمسلمين.

النتائج

أولاً: عندما وصل النبي (ﷺ) إلى المدينة وجد مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها متفرقة في اجتماعياتها وكانت بينهم خلافات قديمة موروثة واستطاع الرسول (ﷺ) بعد الهجرة أن يبني المسجد النبوي الذي اصبح داراً للمسلمين وتمت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وأصبحوا امة واحدة وسجلت هذه المؤاخاة على صفحات القلوب فكانت اقوى من التدوين ،ثم بعد ذلك اتجه (ﷺ) ومن معه إلى

تأسيس الدولة الإسلامية التي أصبحت تتأهب لدخول مرحلة جديدة وهي مرحلة تثبيت أركان الدولة الإسلامية.

ثانياً: بجهود الرسول (ﷺ) من أجل نصرة الإسلام ودين الله سبحانه وتعالى تمت الهجرة التي أدت لتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة المنورة.

ثالثاً: أن توكل على الله وعلمه بأن الله سبحانه وتعالى يفصل بالحق بين الإيمان والباطل واستعصامه بإيمانه وثقته بالله ساعده على أن يصد الطواغيت الذين يجبرون الداعية أن يكف عن دعوته.

رابعاً: أن الرسول (ﷺ) استنفذ جميع قواه وجهوده وأفكاره من أجل إرساء قواعد الإسلام والدولة الإسلامية.

خاسماً: بعد بيعة العقبة الأولى والثانية تمت الهجرة إلى المدينة المنورة وهي مرحلة تأسيس المجتمع الإسلامي وتمكين الدعوة الإسلامية ودخول الناس في دين الله أفواجاً وامتدت هذه الفترة إلى وفاة الرسول (ﷺ).

سادساً: لابد من التمسك بالحيطة والحذر والتخطيط العبقري والتنظيم المحكم في أمور الدعوة كما كان يفعل الرسول (ﷺ).

سابعاً: على دعاة اليوم إخلاص العمل والنية حتى تتحقق إقامة حكم الله وشرعه في الأرض وأن الرسول (ﷺ) قد أمر بالاستقامة على أمر الله والدعوة إليه وإقامة العدل تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ (الشورى: ١٣).

التوصيات

أولاً: على قادة الدعوة الإسلامية أن يتأسوا بالرسول (ﷺ) في مسيرتهم الدعوية في كل زمان ومكان.

ثانياً: على المسلم أن يحمي قائد الدعوة الإسلامية ويشد من أزره كما كان يفعل زيد بن الحارثة.

ثالثاً: على الداعي أن يكثر من الثقة بالله ويتحلى بالصبر لأن طريق الدعوة إلى الله محفوف بالمخاطر منذ عهد الرسول (ﷺ) وأن يكون الداعي على يقين من نصر الله له.

رابعاً: على أصحاب المسؤولية الدعوية أن يجيدوا التخطيط السياسي.

خامساً: ليس مهمة الدعوة الإسلامية وقفاً على الأنبياء والرسل وحدهم ولا خلفائهم وورثتهم العلماء الذين يأتون من بعدهم وأن الدعوة الإسلامية جزء لا يتجزأ من حقيقة الإسلام نفسه.

سادساً: لا مفر ولا مناص لكل مسلم من القيام بعبء الدعوة الإسلامية وأن كل من دخل الإسلام بايع الله ورسوله على الجهاد والدعوة من أجل الإسلام.

وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٢).

وكذلك قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥)

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. السيرة النبوية أبومحمد عبد الله بن هشام بن أيوب الحميري ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م

٣. ابن منظور محمد بن مكرم الانصاري، لسان العرب، بيروت، بدون تاريخ طبع.

٤. الدروبي، محمد محمود، الرسائل الفنية في العصر العباسي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٥. منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، دار الوفاء ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م

٦. أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزية، تلقيح فهوم أهل الأثر ،دار الطبع الهند، بدون تاريخ طبع .
٧. صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المحتوم، دار الوفاء للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة،١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.
٨. أبي محمد بن عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية ،الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.
٩. ابن القيم شمس الدين أبو عبدالله محمد بن بكر بن أيوب ، زاد الميعاد المطبعة المصرية، الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ .
١٠. الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، المكتبة الرحيميه، باب علامة الإيمان، دون تاريخ طباعة.
١١. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز تاريخ الخلافة الراشدة ،٢٠٠١م.
١٢. الحافظ بن كثير أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ طبع.
١٣. ابن حجر أحمد بن علي بن محمد، الإصابة في تمييز الصحابة ،دار الكتب العلمية بيروت بدون تاريخ طبع..
١٤. محمد حسين هيكل، حياة محمد (ﷺ)، مكتبة النهضة المصرية،١٩٨٨م
١٥. عصت محمود ، النبي وقيادة الأمة ،مكتبة بحر العلوم، القاهرة، بدون تاريخ طبع.
١٦. الشيخ عبد الله بن عبد الوهاب ، مختصر سيرة الرسول (ﷺ) بدون تاريخ طبع.
١٧. أبو بكر أحمد بن حسين علي البيهقي، السنن الكبرى،٣٨٤هـ.
١٨. محمد بن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر بيروت، بدون تاريخ طبع.
١٩. ابن حاتم محمد بن حبان أحمد التيمي البستي، السيرة النبوية ،،مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت بدون تاريخ طبع.